

عقيدة التثليث من خلال الأناجيل

د . شريف عبد اللطيف

جامعة تلمسان

مقدمة

سنحاول في بحثنا أن ننكبّ على دراسة أسس التثليث في الديانة المسيحية . وكانت الدوافع إلى دراسة هذا الموضوع عديدة منها :

(1) شعورنا أنّ النفاذ إلى آثار المسيحيين لا يتأتّى بدون معرفة دقيقة للإطار الديني الذي ينتمون إليه .

(2) التعمّق في معرفة التثليث حتّى نتمكن من فك العديد من رموزه و ألغازه .

(3) الوصول إلى فهم طبيعة التفكير الديني في الديانة المسيحية .

(4) التعرف على أصول التثليث من وجهة نظر علمية تتسم بالحيادة و الموضوعية و تبعد عن أسلوب الاحتجاج و النقض أو الدفاع و التبرير .

و الإشكالية المطروحة في بحثنا تتمثل فيما يلي :

- ما هي التحويلات و التبدلات التي طرأت على عقيدة التثليث في الديانة المسيحية ؟

- ما الغرض من التثليث ؟

- ما طبيعة الإنسان المسيحي من خلال التثليث ؟

و سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة عن طريق مباشرة الكنائس و المحادثة مع المسيحيين أنفسهم ، و سنسير في دراستنا سيرا علميا لا عاطفيا ، و سنعرض للمسيحية من مراجعها الأصلية عرضا نعتقد أنه إلى الكمال أقرب ، كما أنّنا سنعتني عناية خاصة بالكتب التي كتبها المسيحيون ليكون حديثنا عن المسيحية أقرب إلى اعتقاد المسيحيين . على أنّنا

بطبيعة الحال لم نكن جامعين فقط و إنما كنّا باحثين و منظرين ، فكّنّا ننقد و نعلّل و نقترح و نبسط الرأي تقريبا في جميع النقاط التي شملتها دراستنا .

أمّا منهجنا في البحث ، فهو منهج وصفي تحليلي وقفنا فيه على نصوص الأناجيل ووقفات تطول حيناً و تقصر حيناً على حسب ما تفجّره تلك النصوص من معتقدات دينية لها صلة بالمرحلة القبلية . و تعدّ دراستنا في الحقيقة دراسة آنية (أفقية) و زمنية (عمودية) تصف الفكرة ثم تصلها بأشباهاها في ماضي المسيحية و حاضرها كلّما جدّت المناسبات لذلك .

و لقد انحصرت محاولتنا في تحديد أسس التثليث في الديانة المسيحية و مدى ارتباط تلك الأسس بالعقائد الأسطورية و المعتقدات الخرافية ، ثم تعرضنا إلى موقف الإسلام من التثليث ، و ألوهية المسيح ، و ألوهية روح القدس معتمدين في ذلك على الآيات القرآنية .

1) التثليث في الأناجيل و رسائل بولص

أخذت شخصية المسيح تظهر تدريجياً و بخاصة بعد بعثه ، بهويته الحقيقية . نعم إنّ المسيح إنسان بكل معنى الكلمة ، و الدليل على ذلك حياته الأرضية و آلامه و موته . (1) و لكن حتى أثناء حياته الأرضية كان يلقب بكلمة الرب " كيربوس " و معناها الأصلي هو الملك . و التسمية نفسها أطلقت عليه بعد بعثه في الجماعة الفلسطينية . (2)

كما أطلقت عليه أيضا تسمية " ابن الله " ، و قد أكد القديس يوحنا أوجها أخرى من شخصيته فقال عنه هو نور العالم ، هو الحياة و المحبة . هو كلمة الله التي تنير كل إنسان آت إلى العالم " أنا هو نور العالم . من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة " أنا هو الطريق و الحق و الحياة . ليس أحد يأتي إلى الآب إلّا بي " (3) .

فشخصية المسيح والآب واحد حسب ما أكدّه القديس يوحنا: " الذي رأيّ فقد رأى الآب " . " صدّقوني أنّي في الآب والآب في " (4). و يخاطب المسيح الآب قائلا : " وكلّ ما هو لي فهو لك ، و ما هو لك فهو لي " (5).

يرى المسيحيون أنّ طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية : الله الأب ، والله الابن ، و الله الروح للقدس ، فإنّ الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن ، وإلى الابن الفداء ، و إلى الروح القدس التطهير ، غير أنّ الثلاثة الأقانيم تتقاسم جميع الأعمال الإلهية على السواء . (6)

و يذكر الكتاب المقدس الأقانيم الثلاثة معا في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس : " فاذهبوا و تلمذوا جميع الأمم و عمّدوهم باسم الأب و الابن و الروح القدس " (7) ، كما يذكرها في رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس : " نعمة ربّنا يسوع المسيح ، و محبة الله ، و شركة الرّوح القدس مع جميعكم آمين " (8).

إنّ تعليم الثالوث معناه أنّ الله ثلاثة أقانيم ، و لكنه واحد في الجوهر . فالله الأب تكلم ، و الله الابن اعتمد ، و الروح القدس نزل على يسوع . بهذه الكيفية فإنّ الله واحد و لكنه في نفس الوقت ثلاثة أقانيم (9) وفقا لما ورد في (متى) : " فلمّا تعمّد يسوع ، صعد من الماء في الحال ، و إذا السّماوات قد انفتحت له و رأى روح الله هابطا و نازلا عليه كأنّه حمامة . و إذا صوت من السّماوات يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت كلّ السرور " . (10)

لقد نزل الروح القدس في هيئة حمامة على يسوع ، و أعلن صوت من السماء أنّ يسوع ابن الله . و هنا نرى الأقانيم الثلاثة في اللاهوت معا : الأب و الابن و الروح القدس . فـ (الثالوث) وصف للعلاقة الفريدة لله الأب و الابن و الروح القدس . و لو ظل الرب يسوع على الأرض لتحّد وجوده المكاني ، لأنّه سيتواجد بالجسد في مكان واحد في كلّ مرة . أمّا بعد صعوده فإنّه حال روحيا في كلّ مكان بالروح القدس . و قد أرسل

الروح القدس للأمة ليكون الله معهم بعد صعود يسوع إلى السماء . فالروح القدس يعزيهم
و يرشدهم لمعرفة حقه ، و يذكرهم بكل ما قاله يسوع ، و يعطيهم الكلام المناسب ليقولوه ،
و يملأهم قوة . (11) .

هذا أحد المواضيع العديدة في الأسفار المقدسة التي يذكر فيها الثالث الأقدس ،
الأب و الابن و الروح القدس معا ، و حسب التعبير التقليدي للمسيحية فإن الله واحد في
ثلاثة أقانيم ، لكنهم جوهر واحد متساوون منذ الأزل و إلى الأبد ، و لا يمكن لأي قدر من
التفسير و الشرح أن يصور بدقة و قوة هذه العلاقة المتميزة الفريدة . و ليس في الطبيعة أي
شبيه كامل لها ، لأنه ليس هناك أي علاقة تشبه الثالث . و في هذا السياق يقول
William Patoun عن هذه العلاقة " إذا رمنا أن نفهم طبيعة الله في المسيحية ، فهناك
نراه : الله الذي عاش معه يسوع في صلة وثيقة لا تنفصم عراها ، صلة الابن بالأب ، و كل
ثروات الولاء و التعبد التي خلّفها كتاب العهد القديم ، كلها اختزنت في فكر يسوع المسيح
عونا لنا على فهم حقيقة الله ، فهو الإله الذي تفوق قداسته كل تصورات الإنسان ، عيناه
أطهرا من أن تريا الشر ، هو خالق البشر و المسيطر على العالم ، هو الأب ، و يحمل هذا
اللقب كل معاني العطف و المودة و الحنان . و يسوع يعلن الأب لا في كلمات ينطق بها
فقط ، بل في حياته و شخصه ، و بينه و بين الأب علاقة سرية متينة الأواصر لم يستطع
تلاميذه أن يتقصوا إلى مكنوناتها (أنا في الأب و الأب في) (و من رأيي فقد رأى الأب)
فإن رمنا أن نعرف طبيعة الله ، على قدر ما يستطيع الإنسان أن يعرف ، فلا ندحة عن
الرجوع إلى شخص يسوع " . (12)

و يقول القس بولس سباط في ذلك ما يلي : " يرى النصارى أن البارئ تعالى
جوهر واحد ، موصوف بصفات الكمال ، و له ثلاث خواص ذاتية ، كشف المسيح عنها
القناع و هي الأب و الابن و روح القدس ، و يشيرون بالجوهر الذي يسمونه البارئ ذا
العقل المجرد إلى الأب ، و بالجوهر نفسه الذي يسمونه ذا العقل العاقل ذاته (أي الذي

يعقل ذاته) إلى الابن ، و بالجواهر عينه الذي يسمونه ذا العقل المعقول من ذاته إلى روح القدس ، و يريدون بالجواهر ما قام بنفسه مستغنيا عن الظرف " . (13)

و يقول القس إبراهيم سعيد في تفسير بشارة لوقا : " يليق أن نوضح بكلمات موجزة المعنى المراد (بابن العلي أو ابن الله) فلم يقصد بها ولادة طبيعية ذاتية من الله ، و إلاّ قليل ولد الله ، و لم يقصد بها ما يقال عادة عن المؤمنين جميعا أنهم أبناء الله ، لأن نسبة المسيح لله هي غير نسبة المؤمنين عامة لله ، و لم يقصد بها تفرقة في المقام من حيث الكبر والصغر و لا الزمنية و لا الجواهر ، لكنه تعبير يكشف لنا عمق المحبة السرية التي بين المسيح والله ، و هي محبة متبادلة ، و ما المحبة التي بين الأب و الابن الطبيعيين سوى أثر من آثارها وشعاع ضئيل من بهاء أنوارها ، و يراد بها إظهار المسيح لنا أنه الشخص الوحيد الذي حاز رضا الله و أطاع وصاياه ، فقبل الموت ، موت الصليب ، لذلك يقول الله فيه : هذا ابني الحبيب الذي به سررت ، له اسمعوا . و قد تكررت هذه العبارة عدة مرات مدة خدمة المسيح على الأرض لأنه تمّ إرادة الله في الفداء . و يراد بها إظهار التشابه و التماثل في الذات و في الصفات و في الجواهر ، كما يكون بين الأب و الابن الطبيعيين ، فقليل عن المسيح إنه بهاء الله و رسم جوهره ، و قال هو عن نفسه : من رأيي فقد رأى الآب ، أنا و الآب واحد ، و يراد بها دوام شخصية المسيح باعتباره الوارث لكل شيء الذي منه و به وله كل الأشياء ، و قد يراد بها معان كثيرة غير معدودة يقصر دون إدراكها العقل " . (14)

و يقول القس بوطر موضحا الثالوث و مبينا لماذا لم يظهر بوضوح الابن و روح القدس في التوراة و لا قال بهما اليهود : " بعدما خلق الله العالم ، و توجّ خلقته بالإنسان لبث حيناً من الدهر لا يعلن له سوى ما يختص بوحدانيته ، كما يتبيّن ذلك من التوراة ، على أنّ المدقق لا يزال يرى بين سطورها إشارات وراء الوحدانية ، لأنك إذا قرأت فيها بإمعان تجد هذه العبارات : (كلمة الله ، أو حكمة الله ، أو روح الله) و لم يعلم من نزلت إليهم التوراة ما تكنّه هذه الكلمات من المعاني لأنه لم يكن قد أتى الوقت المعين الذي قصد الله فيه إيضاها على وجه الكمال و التفصيل ، و مع ذلك فمن يقرأ التوراة في ضوء الإنجيل

يقف على المعنى المراد ، إذ يجدها تشير إلى أقانيم في اللاهوت ... ثم لما جاء المسيح إلى العالم أَرانا بتعاليمه و أعماله المدونة في الإنجيل أن له نسبة أزلية سرية إلى الله تفوق الإدراك ، فهو مسمّى في أسفار اليهود (كلمة الله) و هي ذات العبارة المعلنة في التوراة ، ثم لما صعد إلى السماء أرسل روحا ، ليسكن بين المؤمنين ، و قد تبين أن بهذا الروح أيضا نسبة أزلية إلى الله فائقة كما للإبن و يسمى روح القدس ، و هي ذات العبارة المعلنة في التوراة كما ذكرنا ، و ممّا تقدم نعلم بجلاء أن المسمّى بكلمة الله و المسمّى بروح الله في نصوص التوراة هما المسيح و الروح القدس المذكوران في الإنجيل ، فما لمحت به التوراة صرح به الإنجيل كل التصريح ، و أنّ وحدة الجوهر لا يناقضها تعدد الأقانيم ... أنّ في اللاهوت ثلاثة أقانيم متساوية في الكمالات الإلهية ، و متغيرة في الإسم و العمل ؛ و الكلمة و الروح القدس اثنان منها ، و يدعى الأقنوم الأول الأب ، و يظهر من هذه التسمية أنه مصدر كل الأشياء و مرجعها ، و أن نسبته للكلمة ليست صورية ، بل شخصية حقيقية ، و يمثل للأفهام محبته الفائقة و حكمته الرائعة ، و يدعى الأقنوم الثاني الكلمة لأنه يعلن مشيئته بعبارة وافية ، و أنه وسيط المخاطبة بين الله و الناس ، و يدعى أيضا الإبن ، لأنه يمثل للعقل نسبة المحبة ، و الوحدة بينه و بين أبيه ، و طاعته الكاملة لمشورته ، و للتمييز بين نسبته هو إلى أبيه و نسبة كل الأشياء إليه ؛ و يدعى الأقنوم الثالث الروح القدس للدلالة على النسبة بينه و بين الأب و الإبن ؛ و على عمله في تنوير أرواح البشر ، و حثهم على طاعته ، و بناء على ما تقدم يظهر جليا أن عبارة الإبن لا تشير كما فهم بعضهم خطأ إلى ولادة بشرية ، و لكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم و آخر في اللاهوت الواحد ، و إذا أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن هناك عبارة أنسب من الإبن للدلالة على المحبة و الوحدة في الذات ، و الإبانة للمشورة الإلهية ، و أما من حيث الولادة البشرية فالله مَرَّه عنها " . (15)

و يربط بعض المؤرخين (التثليث المسيحي) بما عرف في الهندوسية من القول " أن براهما ويشنو و شيفا ، صفات ثلاث للإله الأعظم براماتاما ، فهم يقولون : إنّ صفة الخالق تمثلت

في براهما ، و صفة الإعانة تمثلت في ويشنو ، و صفة الإبادة تمثلت في شيفا ، أي : أن براهما يخلق المخلوقات ، و ويشنو يكفلها و يتعهدا في حياتها ، و شيفا يبديها و يفنيها " (16) و الحق إنَّ هناك صعوبات جمة نجحت عن القول بالتثليث ، و قد حاول القس بوطر التوفيق بين التوحيد في التوراة و التثليث في الإنجيل ، و قال إن التثليث موجود في التوراة ، ولكنه غير واضح فوضّحه العهد الجديد . و حاول أن يدلل على ذلك كما رأينا آنفا في كلامه . كما ذهب بعض المسيحيين إلى القول بـ (تثليث في وحدة) و في ذلك يقول يوحنا في رسالته الأولى : " فإنَّ الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة : الآب و الكلمة ، والرّوح القدس . و هؤلاء الثلاثة هم واحد " . (17)

و يرى نفر من المسيحيين أن ما قال به القس بوطر ظاهر الصنعة ، لذلك آثروا مسلكا آخر وضّحه لنا حبيب سعيد في قوله " قد يقال : هل في نظر المسيحية شيء ما يعدو حدود العهد القديم ، أي دين اليهودية ؟ و ليس لهذا السؤال إلّا جواب واحد ، وجواب جد خطير ، ألا و هو أننا في الواقع نشرح العهد القديم في ضوء العهد الجديد " . (18) وهو بهذا كما ترى يحتّم أن يوجّه العهد القديم وجهة العهد الجديد ، أو قل يجعل الأصل فرعاً و الفرع أصلاً .

على أن القول بتثليث في وحدة أي بإله واحد له أقانيم ثلاثة يقود إلى مشكلة أخرى هي : كيف انتزع أحد هذه الأقانيم الثلاثة و دخل رحم مريم ثم امتزج بالناسوت وأصبح إنساناً في مظهره ؟ ألا يدل ذلك على تعدد ظاهر ؟ لأن معبود النصارى لو كان واحداً له أقانيم ثلاثة لما أمكن خروج أحد هذه الأقانيم وحده و نزوله إلى الأرض . لقد أدرك القس بولس شباط هذا الاعتراض و راح يقرر أن هذا الأقنوم مع نزوله إلى الأرض ظل أقنوماً يمثل جانباً في الإله الواحد و لم ينفصل عنه حتى بعد اتحاده بالناسوت . (19)

لقد حاول بولص التوفيق و الجمع بين البشارة العيسوية و التراث الروماني الوثني ، و هو الجهد الذي رأى فيه بولص الباب الذي منه ينفذ إلى العالم الوثني و يتجاوز بالعيسوية إطارها اليهودي المغلق ، فهو بهذا الاعتبار استطاع أن يقهر الوثنية الرومانية من الداخل حتى

غدت المسيحية ديانة رسمية للإمبراطورية أوائل القرن الرابع الميلادي أيام الأمبراطور قسطنطين الأكبر ، في حين يذهب آخرون و على رأسهم دافي Davie. W إلى أن بولص ظل على الدوام مشدودا إلى جذره اليهودي ، و أنه كان في إعادة بنائه للعيسوية يصدر عن منهج الفريسيين التأويلي ، من حيث إنه مثله مثل عيسى عليه السلام ، برر دائما و باستمرار وجهات نظره بنصوص كتابية من العهد القديم ، و أكد يهوديته الخالصة ، و أنه فريسي و تتلمذ على قدمي غملائيل و تعلم منه شريعة آبائه تعليما صحيحا. (20)

(2) دعاة التوحيد

لقد اهتدى قليل من المسيحيين إلى الحل الصحيح و هو التزل بالتوحيد الخالص و ترك القول بالتثليث ، و قد كان لهذا الرأي أتباع من المسيحيين على مدى العصور و في مختلف البلاد ، و من هؤلاء :

أ - برنابا

يبين برنابا أن ادعاء ألوهية المسيح بدأ في حياة المسيح بسبب معجزاته و اتجاهها في إحياء الموتى و إبراء الأكمة و غير ذلك مما ليس للبشر به عهد . و من أوجه الخلاف بينه وبين الأناجيل الأخرى أن المسيح ليس ابن الله و ليس إلها. و قد عضد برنابا رأيه بقول عيسى منكرا ألوهيته : " إني أشهد أمام السماء و أشهد كل ساكن على الأرض ، أي برئ من كل ما قال الناس عني من أي أعظم من بشر ، لأي بشر مولود من امرأة و عرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر ، عرضة للشقاء العام " . (21)

ب - أريوس المصري (336 م)

ينتمي العالم المصري أريوس إلى الحركة الآريوسية التي كانت في جوهرها رفضا صريحا و باتا للتثالوث المقدس ذلك لأنه حين ترفض أبوة الرب ليسوع ، و بنوة يسوع للرب ، فإن الصلة المباشرة بين الفريقين لصالح رب متميز في ربوبيته ، و مسيح ليس إلا مظهرا من مظاهر فعل الخلق الذي ينجزه و يأمر به . (22)

و قد صاح أريوس صيحته المشهورة و التي كان يرددتها دائما : " إن الأب وحده الله ،
والابن مخلوق مصنوع ، و قد كان الأب إذ لم يكن الابن " . (23) قد مثل أريوس دعوة
متجددة لزعزعات سابقة على دعوته : محاولة للعودة بالمسيحية إلى أصولها اليهودية
التوحيدية ، لاستحالة التوفيق في نظره بين التوحيد الموروث عن اليهودية والإيمان بأن المسيح
إله فعّد القول بالتثليث صورة لتعددية وثنية مهذبة و سامية ، و أكد القول " بأن الله واحد
فرد غير مولود ، لا يشاركه شيء في ذاته تعالى ، فكل ما كان خارجا عن الله إنما هو مخلوق
من لا شيء بإرادة الله ومشيتته " . (24) أما (الكلمة) فهي وسط بين الله و العالم ، "
كان (أي الكلمة) و لم يكن زمان ، لكنه غير أزلي و لا قديم ، بل كانت معه لم يكن فيها
(الكلمة) موجودا . فالكلمة مخلوق بل إنه مصنوع " . (25) وخلاصة مذهبه قائم في
أساسه على إنكار اللاهوت في المسيح و تصويره إنسانا محضا ، مهما كان عظيما .

و قد انقسم أتباع أريوس من بعده إلى فئتين : فئة الغلاة و فئة المعتدلة ، أما الأولون
فرفضوا الاعتراف بالمسيح إلها رفضا باتا ، و لم يكتفوا بقولهم : إنه ليس كلمة الله ، بل
أعلنوا أنه ليس شبيها به تعالى مستخدمين لذلك اللفظة اليونانية أنوميوس Anomois
فعرفوا بها و سموا (الأنوميين) أي نفاة التشبيه Anomoists .

أما المعتدلون ، فبدلوا اللفظة إلى هوميوس Homiiousia أي التشابه في الذات والجوهر
التي أطلقوها حينذاك على المسيح بعد اعترافهم بأنه (كلمة الله) فعرفوا بـ (الهوميوسيين)
أي متبني التشبيه في الذات و الجوهر . (26)

ج - لاهوتيو أنطاكية Antinochene Theology

يذهب لاهوتيو أنطاكية إلى أن عيسى المسيح هو نتيجة اتحاد بين الكلمة الإلهي
الأزلي و بين عيسى باعتباره شخصا معينا ، أي أن للمسيح طبيعتين مستشهادين . بما جاء في
الأناجيل ، مما يفهم منه أن للمسيح قبل الاتحاد طبيعة إنسانية محضة " و أمّا يسوع فكان
يتقدم في الحكمة و القامة و النعمة ، عند الله و الناس " . (27) يعني أن المسيح لا يقوم
بأقوم واحد (إله و إنسان) بل بأقنومين تحتفظ كل منهما بخواصها و ملكاتها التي بها تتحرر

و تعمل ، و أن الاتحاد بينهما لا يعدو أن يكون اتحادا معنويا نسبيا . كما أن الطبيعة البشرية في المسيح مستقلة قائمة بذاتها ، مما يسوق لا محالة إلى أن المسيح إنسانا ، ليس ابن الله حقا و طبعا ، بل أنه كذلك بالاشتراك في التسمية مع الابن ، أي مع الكلمة الإلهي الأزلي ، خلافا لمدرسة الاسكندرية التي ذهب لاهوتيوها إلى أن الطبيعتين في المسيح مترادفتان، و تطلقان على معنى واحد .

د - نسطوريوس

نسطوريوس من مواليد بلدة قهرمان مراش بإقليم قليقية الواقعة في تركية الحالية ، درس في مدينة أنطاكية حيث عرف بمواقفه المتشددة من المهرطقة خاصة أتباع الأريوسية . و خلاصة رأيه أن (الكلمة) صارت جسدا بدلالة أن الطبيعة الإلهية اتخذت صورة الإنسانية عند الحلول من غير أن يعتربها أي تغير ، و من ثم فالمسيح إله محض ، من كل جهة واعتبار ، في حين ذهب بعض مخالفه إلى أن للمسيح طبيعتين ، لاهوتية و ناسوتية فهو شخصية إنسانية خالصة ، إلا أن الألوهية حلت فيه على سبيل الامتزاج ، و لهذا رفضوا و أنكروا أن تسمى مريم حاملة إله . (28)

3) موقف الإسلام من التثليث

يختلف رأي الإسلام في تجسد المسيح و ألوهيته عما يؤمن به المسيحيون . فبينما يؤمن المسيحيون بتجسد المسيح وباتحاد طبيعتي اللاهوت و الناسوت فيه و بأنه بشكل عام مهما اختلفت المذاهب هو الله تجسد في صورة إنسان ، إلا أن الإسلام يقول إن المسيح ليس إلها و لا ابنا للإله . و من أمثلة ذلك ما جاء في سورة آل عمران : " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون " . (29)

و ما جاء في سورة النساء : " يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم و لا تقولوا على الله إلا الحق . إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه .

فآمنوا بالله و رسله و لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم . إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد . له ما في السموات و ما في الأرض و كفى بالله وكيلًا " . (30)

و ما جاء في سورة مريم : " قال إني عبد الله آتاني الكتاب و جعلني نبيا . و جعلني مباركاً أينما كنت و أوصاني بالصلاة و الزكاة ما دمت حيا . و براً بالدي و لم يجعلني جباراً شقياً . و السلام علي يوم ولدت و يوم أموت و يوم أبعث حيا " . (31)

و ما نلاحظه أن القرآن يدعو المسيح (عيسى بن مريم) . و يقول بعض المفسرين أن اسم الأم يطلق على المولود في حالة عدم معرفة الوالد . و القرآن يعلم أن المسيح ولد من العذراء بكلمة الله .

و تصرح الديانة الإسلامية بوضوح على أن عيسى ليس بإله فهو ككل البشر يولد و يموت و يبعث . و كل ما يخالف ذلك تحميل للفظ فوق ما لا يحتمل . و الحق أن (عيسى) هو رسول الله ليس غير . و خير شاهد على ذلك قوله تعالى : " و قال المسيح يا بني إسرائيل أعبدوا الله ربي و ربكم " . (32) ، و قوله تعالى : " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة و ما من إله إلا إله واحد " (33) ، و قوله تعالى : " ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلان الطعام " (34) ، و قوله عز و جل : " ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن أعبدوا الله ربي و ربكم ، و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم " (35).

و الآية الأخيرة واضحة الدلالة على أن الله تعالى ربّ عيسى و ربّ البشر ، و واضحة أيضا على وفاة عيسى و نهاية رقبته على أتباعه بعد موته و ترك الرقابة لله . و أمّا فان إس (Ess, J. Van) في كتابه الإسلام و الديانات الأخرى ، فقد جاء حديثه عن صورة عيسى عليه السلام في القرآن حديثا علميا لا يوجد فيه أي تحيز أو خروج عن الحقيقة ، فذكر أن القرآن يؤكد على صدق نبوة عيسى عليه السلام بصفته نبيا لا ابن الله . و يقرر أن تصور القرآن لعيسى يجعله مثيلا للنبي يحي . و يصحح (فان إس) الفهم الخطأ

لمعنى (كلمة الله) بالنسبة إلى عيسى عليه السلام ، و الذي يقع فيه المسيحيون عندما يعتقدون أن القرآن يعترف بأن عيسى هو كلمة الله كما يتصورونها هم ، أي بأن الكلمة أصبحت لحما (حلولاً) بينما هي في الإسلام تعني قدرة الله على أن يخلق بشرا بغير أب .
(36)

و هل هناك حكمة في أن عيسى ولد من غير أب ؟
و الحق أن في ذلك حكمة رائعة ، فاليهود كانوا قوما ماديين ربطوا الأسباب بمسبباتها ، و سادت عندهم الفلسفة التي تقول إن خلق الكون كان من مصدره الأول كالعلة من معلولها ، فأراد الله سبحانه أن يوضح لهم أن قدرته هي التي ربطت الأسباب بمسبباتها ، و أنها تستطيع أن تتجاوز هذا القانون فيوجد المسبب دون أن يوجد السبب . و من مادية اليهود أيضا إنكارهم الروح و اعتقادهم أن الإنسان مادة خلقت من مادة فأراد الله أن يخلق إنسانا دون أن تكون المادة أساسا له .

الخاتمة

ليس من السهل في الحقيقة أن نتحدث عن عقيدة التثليث و سبب ذلك إن فرق المسيحية متعددة ، و عقائدها مختلفة ، ثم إن المسيحيين كانوا يعتقدون اعتقادا ثم مرّ الزمن فتغيّر ذلك الاعتقاد أو زيد عليه ، و معنى هذا أن فكرة المعتقدات اختلفت باختلاف الجماعات و اختلاف الأزمان .

و عندما نقرأ بعض النصوص المحرفة للعهد الجديد نرى المسيح يجذب الانتباه لنفسه واضعا نفسه مركزا لكل حالة . و لم يحدث بالمرّة أن أيّ نبي أو قائد ديني قال عن نفسه أنا الله ، لا موسى و لا محمد صلى الله عليه و سلم و لا بوذا و لا كونفوشيوس و لكن المسيح قال هذا عن نفسه . إننا نقبل المسيح كرسول و معلّم أخلاقي عظيم و لكننا لا نقبل دعواه بأنه الله

و كانت تعاليم المسيح نهائية ، فوق تعاليم موسى و الأنبياء ، فلم يعد النظر فيما سبق إيرادَه و لم يتراجع أو يغيّر ما علم به . لم يخمن أو يظن أو يفترض ، لكنه تكلم دوماً بالثقة المطلقة ، و هذا بخلاف كل الرسل و المعلمين .

و الظاهر أن الأناجيل تسجل هذا عنه ، كما أن أتباعه أرادوا أن يحيطوه بهالة عظيمة . و الواقع أن التثليث ظهر أولاً عند المسيحيين ، أخذوه من الثقافات المحيطة بهم ، تلك الثقافات التي أثرت على مسيحية بولس و نقلتها إلى عبادة ثالث مقدس ، و أصبح الاتجاه العام هو الإيمان بثالث مقدس قريب الشبه بالثالث الذي كانوا يؤمنون به قبل أن يدخلوا المسيحية .

و لكن الإيمان بهذا الثالث خلق لهم مشكلة و هي محاولة التوفيق بين الوحدانية التي هي سمة الأديان السماوية ، و التي قالت بها التوراة بصراحة ، و بين القول بعبادة الثالث ، و حينئذ أعملوا عقولهم و قالوا كلاماً يوفقون به بين الوحدانية و التثليث . (37)

و كان من اللازم في البحث عن الثالث أن يكون الله جل جلاله أول هذا الثالث ، ذلك لأن المسيحية ديانة سماوية الأصل ، و هي وليدة اليهودية ، و التوراة كتاب مقدس عند المسيحيين و هي تقول بالوحدانية ، و قد أشاد عيسى بالله و أفاض في الثناء عليه ، و كل هذا جعل من اللازم الاعتراف بالله ، و بدأ المسيحيون بعد هذا يبحثون عن الإلهين الآخرين فقالوا بألوهية المسيح فأصبح ثاني الآلهة ، ثم قالوا بألوهية الروح القدس الذي أصبح ثالث الآلهة ، و تم بذلك الثالث الذي يريدون .

و يمكن القول بأن تحديد الآلهة بثلاثة عمل له صلة بعبادة الأبطال ، تلك العبادة التي بدأت منذ فجر التاريخ و التي لا يزال لها بقايا في عالمنا الحاضر . و إذا نظرنا إلى الأمر نظرة تاريخية فإننا نجد بعض الكتب التاريخية المحرفة تدعي أن يسوع تقبل العبادة كإله ، و أسس كنيسة تتعبد له منذ 1900 سنة ، وأنه غير مجرى التاريخ .

1) الكشف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ، الزمخشري ، 1977م ، مصطفى البابي الحلبي ، 1972م ، المجلد الأول ، ص 101

Jordan, Louis Henry , Comparative Religion , Its genesis and Growth , 2
Scholars Press , Atlanta Georgia , p 88

(3) (يوحنا 8 : 12 و 14 : 6)

(4) (يوحنا 14 : 9 و 14 : 11)

(5) (يوحنا 17 : 10)

(6) قاموس الكتاب المقدس ، يوسف بوست ، مجمع الكنائس في الشرق الأدنى ، ط2 ، بيروت ، 1971م ، ص 16

(7) (متى 28 : 19) و (رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 12 : 4-13)

(8) (رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 13 : 14)

(9) (مرقس 1 : 10،11) و (لوقا 3 : 21 ، 22)

(10) (متى 3 : 16 ، 17)

(11) (يوحنا 14-16)

(12) أديان العالم الكبرى ، وليم باتون ، ترجمة حبيب سعيد ، دار المعرفة ، القاهرة ، ص 108/104

(13) المشرع ، القس بولس شباط ، ص 13 - 14

(14) تفسير بشارة لوقا ، إبراهيم سعيد ، ص 69 - 70

(15) رسالة الأصول و الفروع ، القس بوطر ، ص 43 - 45

(16) محاسن التأويل ، جمال الدين القاسمي ، بيروت ، دار الفكر ، 1978م

(17) رسالة يوحنا الأولى 5 : 7

(18) وليم باتون : المرجع السابق ، ص 107

(19) أنظر المشرع ص 40 - 41

(20) منبع الدين و الأخلاق ، هنري برجسون ، ترجمة سامي الدروبي ، الهيئة المصرية للتأليف و النشر ، ص 45

(21) الإصحاح 1094 - 2

(22) من يهود إلى الله ، طيب تيزيني ، بيروت ، 1975 م ، ج 1 ، ص 394

(23) فلسفة الفكر الديني بين الإسلام و المسيحية ، لويس غارديه و جورج قنواقي ، ترجمة صبحي الصالح و فريد حبر ،

دار العلم للملايين ، ط 2 ، 1972 م ، ج 2 ، ص 286

- 24) نفسه ، ج 2 ، ص 286
- 25) الإسلام كبديل ، هوفمان مراد ، ترجمة فريد جبر ، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام و الخدمات ، 1992م ، ص 124
- 26) نفسه ، ج 2 ، ص 90
- 27) لوقا 2 : 52 و رسالة العبرانيين 2 : 10 و 3 : 1 ، 2
- 28) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، عبد المجيد الشرقي ، الدار التونسية للنشر ، 1986م ، ص 65
- 29) من سورة آل عمران ، الآية 59
- 30) من سورة النساء ، الآية 171
- 31) من سورة مريم ، الآية 30 ، 31 ، 32 ، 33
- 32) من سورة المائدة رقم الآية 74
- 33) السورة نفسها ، رقم الآية 75
- 34) السورة نفسها ، رقم الآية 77
- 35) السورة نفسها ، رقم الآية 119
- 36) المسيحية و الإسلام من الحوار إلى الحوار ، محمد الشاهد ، دار الأمين للطباعة ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 م ، ص 182 - 183
- 37) شبهات النصارى و حجج المسلمين ، رشيد رضا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ص 144

البعد الأسطوري للعديدين " ثلاثة " " ١٠٠ - ١٠٠٠ "
